الشباب العربي بين الواقع الاجتماعي والعالم الافتراضي – قراءة تحليلية–

Arab youth between social reality and the virtual world- Analytical reading -

La jeunesse arabe entre réalité sociale et monde virtuel

– Lecture analytique –

د.كاف موسى : جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج

د.بوري جمال : جامعة مولود معمري تيزي وزو

تاريخ الارسال :13-06-2018 **تاريخ النشر :30-12-2018**

ملخص :

تعتبر مرحلة الشباب مرحلة حساسة ومهمة في حياة نمو الفرد، ففيها تتضح معالم شخصيته الجسمانية والعقلية، والإجتماعية، ويكتسب فيها مهارات ومعارف تدفعه للتطلع نحو المستقبل، والتفكير في خيارات الحياة المستقبلية. إننا نعيش اليوم في عصر بحكم التطور في وسائل الاتصال والتكنولوجيات الحديثة يفرض جملة من التغيرات والتفاعلات ما انعكس على معظم مجالات الحياة، عصر أضحى فيه عالم الانترنت بما وفر من أشكال جديدة للتواصل بين الشباب لم تكن متاحة لهم من قبل. الشيء الذي جعل من المجتمعات الافتراضية إما فرصة للإبحار وتعويض عن الإحباط وإعادة اكتشاف الذات، أو الانغماس في هذا العالم الافتراضي بكل أبعاده. فإما إكتشاف الذات وتحقيق الهوية وإما الإغتراب النفسي والاجتماعي .

الكلمات المفتاحية : الشباب العربي، العالم الافتراضي ، الاغتراب ، المسؤولية الاجتماعية.

Résumé :

Le stade de la jeunesse est l'une des étapes les plus importantes de la croissance de l'individu, au cours de laquelle il acquit une maturité personnelle, physique, mental, et sociale, ainsi que des compétences et les connaissances qui le motivent à envisager l'avenir et à réfléchir aux choix de vie futurs. Aujourd'hui, nous vivons dans une ère d'évolution des moyens de communication et des technologies modernes qui imposent un certain nombre de changements et d'interactions, qui sont reflétés dans la plupart des domaines de la vie; une èreoù le monde d'Internet a créé de nouvelles formes de communication, entre les jeunes, qui n'étaient pas disponibles auparavant. Cela a fait des communautés virtuelles, soit une opportunité de naviguer, compenser aux frustrations et redécouvrir le soi, ou s'immerger dansé monde virtuel dans tout esses dimensions ; en d'autres termes, soit une découverte et identification de soi ou une aliénation psychologique et sociale.

Les mots clés : La jeunesse algérienne, le monde virtuel, aliénation et responsabilité sociale.

Abstract :

Youth is one of the most important stages of an individual's growth, during which s/he acquires maturity at the personal, physical, mental, and social levels, as well as the skills and knowledge necessary to motivate her/ him to look into the future

and make choices about her/ his future life. Nowadays, we live in an era of evolving communication media and modern technologies that impose a number of changes and interactions that have been reflected in most areas of life; an era where the world of the Internet has created new forms of communication, between young people, that were not available before. This has made virtual communities either an opportunity to navigate, compensate for frustration and discover the self, or indulge in this virtual world in its various dimensions; that is to say, either a discovery and identification of the self or a psychological and social alienation.

key words : Algerian youth , the virtual world between, alienation , social responsibility.

مقدمة:

إن الشباب أكثر فئات المجتمع تعرضا وتأثرا بنتائج التغيرات والتحولات التي تمر بها المجتمعات، فهم أكثر ارتباطا بظاهرة العولمة وتأثيراتها خاصة على ثقافتهم، حيث أن "الثورة في الثقافة والمعلومات وفي أنماط الاستهلاك التي أدخلتها الحداثة في مجتمعاتنا العربية قد أفرزت ثورة صامتة في القيم والاتجاهات وفي المهارات التي يحتاجها الفرد، ومن نتائج هذه الثورة الصامتة أنها أربكت المنظومة التقليدية وأدخلت الفزع على قيمها. إن الشاب العربي المعاصر فقد الثوابت التي يبنى بواسطتها هويته، وذلك لأن الهوية تحتاج إلى مراجع ثقافية وقيمية واضحة وثابتة يعتمدها الفرد لبناء شخصيته"[i].

ويسعى الشاب في تكوين هويته الفردية وتحديد معالمها إلى تحقيق ذاته المستقلة معتمدا على خبراته الخاصة وقدراته الموروثة والمكتسبة وخبرات نتيجة قيامه بمختلف الأدوار. وله حاجات نفسية واجتماعية وثقافية يسعى لتحقيقها وإشباعها من خلال عمليات التبادل والتفاعل الإجتماعي مع الآخرين، التي من خلالها يتشبع بمعايير وقيم مجتمعه في عملية بنائية نفسية اجتماعية يحقق من خلالها بناء الهوية." والقيم تختلف من مجتمع الى مجتمع، كما تختلف من شخص الى آخر"[ii]

إلا أن ذلك لا يخلو من أزمات وصراعات، بالخصوص في مرحلة المراهقة المتأخرة فهي مرحلة الأزمات والمشكلات، خاصة مشكلات النمو والمشكلات النفسية، كما ترتبط المراهقة بدرجة كبيرة بأزمة الهوية نتيجة للعديد من التساؤلات التي تطرح في هذا السن.

كما تعد المراهقة مرحلة للانتقال من الطفولة إلى الرشد نتيجة التغيرات النفسية، الجسمية والاجتماعية، لذا يعتبرها إريكسون بأنها أحد الصعوبات التي تواجه الفرد في مرحلة المراهقة إذ يعرفها على أنها: " عبارة عن طلب نفسي اجتماعي في المراهقة بحيث يظهر في هذه المرحلة بعد نفسي إجتماعي طرفه الإيجابي هو الإحساس بالهوية، وطرفه السلبي هو تشتت الهوية"[iii]،

وهي جملة العوائق التي تعترض محاولات المراهق لمعرفة نفسه، ما يجعله في حالة عدم معرفة لذاته بوضوح في الوقت الحاضر وما سيكون مستقبلا. ويعرفها **البرتوازو** على أنها:"هي الصعوبات التي تعوق رغبة الانسان في أن يكون معترفا به من الآخر"[iv].

إن التغير الإجتماعي حقيقة وجودية، فضلا على أنه ظاهرة عامة وخاصية أساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحياة الإجتماعية، بل إنه ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية من أجل التكيف مع واقعها، وتحقيق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها.ويعد التغير من السمات التي لازمت الإنسانية منذ فجر نشأتها حتى عصرنا الحاضر، سمة دالة على تفاعل أنماط الحياة على اختلاف أشكالها لتحقق، بإستمرار أنماطا وقيما إجتماعية جديدة يشعر في ظلها الأفراد أن حياتهم متجددة.

وفي ظل هذه الحياة المتجددة وأنماط الحياة الجديدة، كيف يكون تفاعل وتعامل الشباب العربي معها؟ هل عن طريق التحلي بالمسؤولية الاجتماعية أو الإحساس بالاغتراب النفسي والاجتماعي؟

أولا:المسؤولية الاجتماعية و الاغتراب النفسي والاجتماعي:

فالمسؤولية الاجتماعية تعني تبعات الانتماء الاجتماعي وتكاليفها التي يتحملها الشاب في ضوء مبادئ ومستوى أخلاقي يتبناه عن وعي واهتمام ذاتي متحررا من القيود الداخلية والخارجية التي توجه سلوكه في المناشط الاجتماعية. وتتجلى لنا في كثير من المظاهر، كالاعتماد على النفس والقيام بالواجبات والإجتهاد والتفاعل والتعاون وأن يكون الفرد مسؤولا، هذا يعني أن يتحمل مسؤولية آرائه وسلوكه الفردي والإجتماعي، ومن أخطر مظاهر نقص المسؤولية الإجتماعية هي حالة الإغتراب.

فالمسؤولية هي الالتزام بأداء مهمة معينة، وثانيا إلزام الأفراد بأداء هذا العمل، وهي تتضمن رغبة في قبول عبء هذه المهمة والأخطار التي يمكن أن تحدث في حالة الفشل، وبسبب ما تضمنه المسؤولية من ثواب وعقاب فإن من الضروري تماما توضيح حدود هذه المسؤولية. أما الاغتراب فهو **"نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان غريبا عن نفسه، حيث يفقد دوره بوصفه غاية إنسانية للعالم"**[v].

فالإغتراب عند الفرد هو ضغوط داخلية، حيث يوجه الفرد معظم نشاطه نحو الوصول إلى أعلى درجات الكمال حتى يحقق الذاتية المثالية، ويصل بنفسه إلى الصورة التي يتصورها. وقد ظهر مفهوم الاغتراب ولأول مرة عام 1837 في كتابات **جون بيار فاليريه** ليعبر به عن مظاهر الاضطراب العقلي، ووظف فيما بعد في مجال علم الإجتماع، الفلسفة وعلم النفس الإجتماعي.ويعني الإغتراب عند **هيجل** إما الانفصال أو التخلي، أما **ماركس** فقد اهتم بنقله إلى الفكر المادي، ومنحه طابعا إمبريقيا وسوسيولوجيا بحيث يرى أن **الإغتراب بوصفه "العملية التي يتحول فيها الإنسان إلى حالة تشيؤ، حيث يستعبد ويصبح بقوة عمله سلعة تباع في الأسواق"**[vi]**. فالعمل يخلق الإنسان ويطوره ولكنه يمتص في الوقت نفسه كل قواه ويستعبده،** ويعني "التشيؤ" وقوع الإنسان في قبضة الأشياء، فتنشأ علاقات اجتماعية بين الأشياء وعلاقات مادية بين الأفراد، الأمر الذي يؤدي إلى أن يمنح الناس ثقتهم للأشياء وليس لبعضهم البعض.

وهذا ما يؤكده **إيريك فروم** أن طبيعة المجتمع الحديث، تسوده سيطرة الآلة، هيمنة التكنولوجيا الحديثة على الإنسان، سيطرة السلطة وهيمنة القيم والاتجاهات والأفكار التسلطية، فحيث تكون السلطة وعشق القوة يكون الاغتراب.

فالشعور بالاغتراب يكون نتيجة لعوامل نفسية مرتبطة بنمو الفرد وعوامل اجتماعية مرتبطة بالمجتمع الذي يعيش فيه مما تجعله غير قادر على مجابهة مصاعب الحياة والتغلب عليها. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ **سعد علي وطفة** أن مفهوم الاغتراب يشير إلى "الحالات التي تتعرض وحدة الشخصية للانشطار، نتيجة تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع، فيفقد الفرد مقومات الإحساس المتكامل بالوجود"[vii].

الشباب العربي في العالم الافتراضي وأثرها على هويتة وقيمه الاجتماعية:

إن منظومة الأنترنت بصورتها التكنولوجية: "تمثل الوجه الحضاري للإنسان العصري في جوهره ومظهره التكنو–اجتماعي، وتحمل في طياتها بعدا تكنولوجيا ووسيلة عصرية حديثة، سمحت للشباب في التعامل معها على أنها ضرورة عصرية، ومهمة في حياتهم كشباب فهي في الأساس حالة اجتماعية، أسست لثقافة فرعية شبابية، فالثقافة الشبكية إنما تتأطر من خلال الاستخدامات الاتصالية بأنواعها فيحدث التخاطب والتحاور عبر النصوص، الصوت، الرمز والصورة، لقد برزت أهميته باعتبار أن الإنسان لا يستطيع العيش في الفراغ أو العدم دون

التفاعل مع الآخرين، ولذا هي نتاج تفاعل بين الفرد والفرد، بين الفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه، فنحن في قرن جديد، هو القرن الذي ستكون فيه المعلومات وتكنولوجياتها هي عصب الحياة"[viii].

هذه المجتمعات الإفتراضية التي جسدتها شبكة المعلومات الدولية فضاء رمزيا موازيا للعالم الواقعي، يدخله وينتمي إليه الشباب هروبا من الواقع، لشعوره بالاغتراب باحثا عن ذاته، أو تعويضا لإحباط أو فشل ويريد التحرر من أعباء المسؤولية مهما كان شكلها، وباحث عن التقدير والمكانة الاجتماعية في هذا الفضاء الجديد، أو تقليدا في ما بينهم مسايرة للتطور والعصرنة وبحثا عن الترفيه متحرر من ضغوط الحياة. ويتطور هذا الانتماء ليصبح جزءا هاما من حياته الاجتماعية وواقعا ملموسا في ممارساته اليومية وبيئة للتفاعلات الاجتماعية حتى أصبحت تلعب دورا مؤثرا حتى لا نقول أصبحت تشكل وتعيد تشكيل البنى المعرفية، القيمية، الثقافية للأفراد والمجتمعات. بإعتبارها عقلا جامعا للعقول الإفتراضية المتفاعلة داخلها، كونها أسرع تطورا وتغيرا من العقل الجمعي الطبيعي بفعل عوامل تخطيطية لا تلقائية، نظرا لطبيعته الإفتراضية وإرتباطه بقضايا الهوية والخصوصية الثقافية.

كما أن الثقافة الإفتراضية، تختلف في سماتها وخصائصها عن السمات والخصائص المألوفة للثقافة في المجتمعات الطبيعية، فهي خليط ثقافي رمزي رقمي، يصعب تحديد مصادرها وصدق خلفياتها، تركز على الجوانب الفكرية والروحانية والخيالية والإبداعية من ثقافات الشعوب، تنمو وتتطور بشكل متسارع وفي اتجاهات مختلفة تحمل قيما ومعايير وعادات وتقاليد تقوم على رفض قيود الجبر والإلزام، فالفرد يتحرر من قيود الزمن وحدود المكان، كما يتحرر من قيود المسؤولية والأدوار الاجتماعية التي يلتزم بها في إطار وجوده الاجتماعي الطبيعي.

وتعد شبكات التواصل الإجتماعي أكثر أشكال المجتمعات الإفتراضية محاكاة للمجتمع الطبيعي، خاصة فيما يتعلق بالطريقة الشبكية في تشكيل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فكل فرد ينشئ صفحة خاصة تعبر عن هويته الافتراضية يتعامل من خلالها داخل المجتمع الإفتراضي، ومن ثم تكوين صداقات ومجموعات وعلاقات متشابكة ومتعدية داخل الموقع، ويتفاعل الأعضاء والأصدقاء من خلال أدوات للتفاعل الإجتماعي، ومن بين موقع التواصل الإجتماعي الفايسبوك.

فهي بذلك منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الإهتمامات والهوايات نفسها. كما نجد فيها مجتمعات الممارسة عبارة عن جماعات من البشر يشتركون في غاية واحدة ومجموعة من المشكلات، ويقومون بتعميق معرفتهم وخبراتهم في هذه الناحية عن طريق التفاعل بصورة مستمرة، ولقد أظهر تحليل تأثير تكنولوجيات الاتصال على الحياة اليومية أن المجتمعات المحلية لا تتشكل فقط في المساحات الجغرافية المحددة ، بل أيضا في الفضاء الإلكتروني وتسمى "المجتمعات الإفتراضية"[ix].

إذن المجموعات الافتراضية هي تجمعات تجمع بين أفراد من خلال مواقع أو برمجيات إلكترونية على شبكة المعلومات الدولية، تربطهم إهتمامات مشتركة، يتفاعلون مع بعضهم البعض من خلال التواصل الإلكتروني في نشاط ومحتوى معلوماتي معين، فهي لا تتعامل مع نسق قومي إجتماعي مغلق محدد الأبعاد. يرى **عزي عبد الرحمن** في تناوله لموضوع الأنترنت والشباب، أن بعض الإفتراضات القيمية، بوصف العوالم الإفتراضية الرمزية للأنترنت أنها تمثل عالما رمزيا يبتعد من الواقع المعايش، وبالتالي فالأنترنيت ظاهرة رمزية، فالفرد يتعامل مع محتوياتها من خلال رمزية النص والصورة والفيديو، وبالتالي فهي ليست حقائق بذاتها بل هي تعبير عن حقائق، فلجوء الفرد إلى العالم الافتراضي الرمزي قد يكون تلقائيا أو رغبة في الإفلات من الواقع الذي يعيشه، الشيء الذي يفتح أمامه باب التخيل والتأمل ومعايشة عوالم متعددة غير مطروحة في محيطه بالضرورة، وقد يكون الفرد واعيا معظم الوقت، أن عالم الأنترنت ليس بالضرورة حقيقة وقد يخلط بين العالمي، وقد يصل الحال بالفرد إلى التصاق شديد بهذا العالم الإفتراضي، إلى درجة يشعر فيها أن عالم الأنترنت هو العالم الحقيقي، أما العالم الواقعي فهو عالم هامشي، لا سيما إذا كان يقضي أغلب وقته أمام الشاشة الإلكترونية مقيما علاقات إفتراضية مع أشخاص وجماعات إفتراضية. وعلى ضوء هذا الوصف يمكن وضع التعريف التالي على أنه: "مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافيا، ولكن الاتصال والتواصل بينهم يتم عبر الشبكات الإلكترونية، وينتج بينهم نتيجة لذلك نوع من الإحساس والولاء والمشاركة"[x].

فهو بذلك نظام اجتماعي تكنولوجي رمزي تدعم بفضل الشبكة العنكبوتية، يهجر إليه الشباب عن طريق الهجرة إلى هذه المجتمعات كبديل للحياة الاجتماعية الصعبة أو كفضاء للراحة والترفيه من روتين الحياة اليومية. ويبلغ عدد المشتركين في الفايسبوك 800 مليون شخص من كافة انحاء العالم[xi].

ينتمي إليه الشباب كأفراد ثم ينتظمون في مجموعات تعرف بالجروبات يتفاعلون فيما بينهم لتحقيق أهداف مشتركة، باستخدام وسيلة تواصلية يختارونها، فيصبح تدريجيا جزءا هاما من حياتهم الاجتماعية وواقعا ملموسا في ممارساتهم اليومية وبيئة للتفاعلات الاجتماعية، تسهم في التأثير على ثقافتهم وتعاملهم مع الآخرين.

ومن خلال موضوعنا هذا حاولنا التطرق إلى جملة من التغيرات التي قد تحدث بدخول الشباب العربي في عصر جديد من عصور الإتصال والتفاعل بين البشر، عصر العولمة الذي صنعته تكنولوجيا وتقنيات الاتصال الحديثة، فشكلت العالم الإفتراضي لنشر ثقافة تفرض قيمها، بهدف ضبط السلوك الإنساني بما يتلائم مع النظام العالمي الجديد، وما أحدثته من تحويلات في أنماط حياة الشباب، أو إعادة تشكيلها طبقا للمتغيرات أو المتطلبات والمواقف الجديدة التي تصادفه. وهو الذي كان يمارس حياته الإجتماعية طبقا للمعايير والقيم وأنماط السلوك التي تشتمل عليها ثقافة مجتمعه.

إن مرحلة المراهقة مرحلة تطور اجتماعي وتكيف للحياة يمر بها الشاب المراهق في رحلة بحث واستكشاف واختبار مستمر للأفكار الجديدة بين بيئته الأسرية والمجتمعية، والبيئة الافتراضية. ويقوم بتحليلها وربطها بالمعرفة السابقة لإيجاد إجابات محددة لأسئلة يطرحها، قد تقوده إلى الالتزام بمجموعة من القيم والمفاهيم تتكيف أو تتعارض مع قيم هويته الإجتماعية.

إن الجماعات والمجموعات الإفتراضية هي فضاء رمزي ناتج عن ربط جهاز بالشبكة العنكبوتية، فشكل بيئة إفتراضية تحاكي الحياة الحقيقية، فخلقت مناخ للتفاعل والتعبير عن الذات والتي يمكن من خلالها عدم الإفصاح عن الهوية الحقيقية للفرد، وفي بحثنا هذا نعبر عنها بعدة أسماء رغم إختلافها، إلا أنها تؤدي نفس المعنى الرمزي وهي الفضاء الإفتراضي، الواقع الإفتراضي، والعالم الإفتراضي. تسمح للشباب من أماكن متفرقة في أنحاء العالم أن يتواصلوا فيما بينهم ويتبادلوا المعارف والمعلومات، ويكونوا علاقات، ويمارسوا أنشطة مختلفة.

هذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل العام: ما هو التطور الحاصل عند الشاب الجزائري بعد دخوله العالم الإفتراضي؟ أما التساؤلات الفرعية فهي: ما مدى التزام الشباب بالقيم والعادات والتقاليد التي تضبط سلوكه الإجتماعي في إنفتاحه على الآخر في العالم الإفتراضي، وما مدى إستشعاره بهويته الإجتماعية، في تأثره بنمط الحياة الذي تجسده ثقافة الآخر؟ وما مدى تأثير إدراك الفرق

والهوة خاصة في البعد المادي بين مجتمعه والمجتمعات الغربية التي ميزاتها العصرنة والرفاهية وما يتوافق معها من أساليب الحياة على الشباب الجزائري.

ثانيا: قراءة سوسيولوجية لعلاقة الشباب العربي مع المجتمع الافتراضي:

من خلال هذه التساؤلات نحاول الوقوف على تغير نظرة وإدراك الشباب العربي للواقع الإفتراضي، الذي يتفاعل فيه مع مرور الوقت في عدة جوانب سنتناولها بالتحليل.

إن الفضاء الرمزي، المجتمع الافتراضي، الشبكات الاجتماعية والواقع الاجتماعي مفاهيم مرتبطة بالثورة التقنية والانترنت، التي أضحت واقع جديد غير مفاهيم الزمان والمكان، فهي جغرافيا جديدة تتيح الكثير من الامتيازات وفضاء مرن بلا حدود، ومن أشكال التواجد السهلة والمريحة يسهل الدخول والخروج منها وإليها في أي وقت، سواء للذات الباحثة عن الإشباعات والمتخفي في قناع صورة الآخر الذي تريد الذات أن تتماثل معه، أو التي حققت التوازن والاستقرار والتي قد تكون باحثة على بناء هوية جديدة وفق ما تريده الذات خارج المنطق الرقابي للبحث عن الحرية. فظاهرة العالم الافتراضي والهجرة الجماعية إليه تكون لأسباب مختلفة.

إن الانغماس في العالم الإفتراضي تشكل بشكل سريع ومتسارع، وهذا يرجع لما وفره من الحسابات الرمزية التي تعبر عن هوية إفتراضية لمستعمليه تسمح بالتفاعل والمشاركة مع الآخرين. كما يرتبط هذا التسارع بفضول ورغبة الأفراد باكتشاف كل جديد وتجربته.

لقد أكدت الدراسات النفسية والاجتماعية أن تعدد الأسماء ورمزيتها تشير إلى وجود خلل وظيفي في حياة الشخص الحامل لأكثر من إسم من منطلق أن حقيقة الذات لا تتحقق إلا باعتراف الآخرين وإعجابهم بها، ما يجعلنا نطرح مسألة الأسماء المستعارة والتي في الحقيقة ليست ظاهرة خاصة بالعالم الافتراضي فحسب فهي موجودة في عالمنا الواقعي كذلك، فالأسماء المستعملة في مجتمعنا العربي خاصة أسماء الأجداد مثل فروجة، خروفة، علجية، خداوج وغيرها عند الإناث، أما عند الذكور نجد حميدة، لعجال، لوكال، لخضر والنوي وغيرها، أسماء يريد الآباء الحفاظ عليها فهي أسماء الأجداد، لكن الكثير من الشباب يغيرها في الواقع وتبقى مسجلة فقط في الدفتر العائلي ويعطي لنفسه إسما يرتاح له ويكون مقبول ولا يدعوا للسخرية من قبل الآخرين.

كما نجد المنتمي لهذا العالم إن لم يستعمل صورته الحقيقية، فهو يستعمل صورة مستعارة لشخص أو شيء أو منظر طبيعي، أو رمز فهي صورة رمزية يختارها بدقة وتوافق مع الصورة التي يشكلها عن نفسه ويريد إطلاع الآخرين عليها. كما يستعمل صورة يعبر من خلالها عن الذات التي يريد أن يراه بها الآخرين، كما نجد بعض الصور التي يستعملها بعد مدة من التفاعل مع بعض الأصدقاء تعبر عن رغبته في التشبه مع صور من يتفاعل معهم.

والإشكال هنا ليس مرتبط بالاسم والصورة المستعارة، إذا كانت تعبر عن الهوية الحقيقية للفرد الذي يخفي خلال تفاعله معلوماته الشخصية، كالإسم ومكان الإقامة. فالخطورة تكمن في تغيير الهوية الحقيقية، وما تشربه من قيم وعادات وتقاليد في مجتمعه الحقيقي، والأخطر من ذلك عندما يمتلك أكثر من حساب لكن لا تمثل نفس الهوية أي كل حساب يجسد فيه هوية معينة، هروبا من الواقع وهروبا من الذات كآلية للتعويض من إحباطاته اليومية، ما قد يسبب له الإنفصام أو الإزدواجية في الشخصية.

إن البحث عن التخفيف من القلق والتوتر، أسباب لتفسير فعل الهروب من الذات ومن كل الضوابط الإجتماعية في المجتمع، ما يفسر النزوح الجماعي والكثيف من الواقع المعيشي إلى الإفتراضي، وخصوصا أن تمتع هذه المجتمعات بالديمقراطية والنزعة للتحرر يسهم في تحقيق إحتياجات الذات وتلبية مطالبها وحدوث إشباعات فورية بعيدا عن إكراهات الواقع. ما يجعل منها متنفس لتحويل الشحنات السلبية إلى شحنات نفسية إيجابية ولو بطبيعة افتراضية بعيدا عن سلطة الواقع وكل ما يرمز إليها.

ويجدر الإشارة لبعض الدراسات التي تناولت إنغماس الشباب الجزائري في المجتمع الإفتراضي بنظرة سلبية، تؤكد تلك النظرة الأبوية والذكورية لمجتمعاتنا والمبنية على التسلط وقمع الحريات، دون الأخذ بحتمية التغير الثقافي والاجتماعي، هذه الدراسات إعتبرت شبابنا كأنه مسلوب الهوية ضعيف الشخصية ليس له إمكانيات وقدرات للتفاعل الاجتماعي ومهارات لبناء العلاقات الاجتماعية، شباب يعاني من الإحباطات ومثال للفشل، وتبرير حكمهم من منطلق أن الهروب إلى الواقع الافتراضي هو هزيمة وفشل في الواقع وعدم القدرة على مواجهته، ومن لم يستطع أن يتكيف مع ذاته كيف له أن يعيش مع الأخر، ومن يهرب من ذاته كيف يؤسس لعلاقة إيجابية مع الآخرين؟.

صحيح أن الواقع هو عالم المسؤولية وشبكات التواصل الافتراضي هو عالم الحرية عالم قد يرمز لأحلام اليقظة، لكن يبقى هذا الهروب مؤشرا لرفض شبابنا للواقع الذي يعيشه بمشاكله وكل أزماته، واقع يتنفس فيه لتوفره على مساحات كثيرة من الحرية مناسبة للتفريغ وتخفيف حدة التوتر والقلق الناتج عن الضغوطات التي يعاني منها.

إن الهروب إلى الواقع الافتراضي ليس هروبا من الذات بقدر ما هو هروب إلى الذات، لحظات يسترجع فيها الشباب العربي أنفاسه ويبني أحلامه ويضع أهدافه. فالهروب إلى الذات يبقى أمرا إيجابيا من أجل إسترجاع طاقة نفسية مبعثرة ومشتتة، ما يوفر له الاستقرار النفسي والاجتماعي لمواصلة تحقيق هويته ومرور الأزمة بسلام.

كما لا ننس أن نؤكد أن العلاقات المشكلة في الفايسبوك ليست كلها علاقات افتراضية، فالكثير من الصداقات كانت إمتدادا للصداقات الموجودة في الواقع. بالإضافة إلى أن الصداقات في الفايس بوك لا تعني كثرة التفاعل، فأصدقاء الفايسبوك أصناف هناك أصدقاء مقربون وعاديون، وأصدقاء الأصدقاء، وأصدقاء جدد أضافهم من باب المجاملة، وليس تباهي بعدد الأصدقاء. فالفايسبوك بذلك يمنح لهم فرصة للتدرب وتنمية المهارات والقدرات وإكتساب خبرات ومعارف.

إن الإنسان لا يستطيع العيش بدون جماعة مهما كانت، فهو كائن إجتماعي يكتسب خصائصه وقيمه الاجتماعية بتفاعله مع الجماعات، فمنذ ولادته يعتمد على الآخرين للبقاء وإشباع حاجاته الجسمية، العقلية، النفسية والاجتماعية. فالانتماء إلى الجماعة يساعده في إشباع حاجاته الأساسية للبقاء. من خلال تفاعله مع المحيطين به تتشكل سلوكياته، ويكتسب المهارات الاجتماعية اللازمة التي تعينه على الاتصال بالآخرين، والتعبير عن حاجاته ومشاعره وإنفعالاته وأفكاره، كما يستطيع من خلال هذا التفاعل تعلم كيفية الاستجابة لمشاعرهم، حاجاتهم، أفكارهم وانفعالاتهم.

وأشارت الكثير من الدراسات على أن عزل الإنسان عن الجماعات يؤدي إلى إحداث مشكلات خطيرة بقدراته، منها دراسة **سلمى جمعة** والتي ترى: "أن عزل الإنسان عن الجماعات يؤدي إلى إحداث مشكلات خطيرة تتصل بقدراتها على أداء أدواره الإجتماعية، فالحاجة للبقاء والحاجة للإنتماء دافعان قويان لدى الإنسان. ومن جهة أخرى فإن تعقد الحياة والتوسع في المدن الكبيرة، والنمو المطرد في الصناعات الضخمة، كل هذا يجعل من الصعب على الإنسان أن يشعر بأنه جزء له قيمته واعتباره، وكلما زادت الحياة تعقيدا إزداد التكيف الإجتماعي صعوبة وأصبح من الصعب أيضا تكوين علاقات جماعية لها قيمتها"[xii]

فما بالك بالتطورات الهائلة التي حققتها الثورة التكنولوجية والتقنية، وإنشائها لعوالم إفتراضية يدخلها الأفراد لأسباب مختلفة. لكن مع استمرار التفاعل وربط العلاقات وتطورها، ومع ما توفره هذه التقنيات من برمجيات تسهل للشباب العربي الإبحار في هذا العالم الافتراضي، نجد ما يعرف بنظام المجموعات أو كما يسميها المنتمين لها بالجروبات، التي صممها مهندسوها وفق ما تطلبه الجماعة في الواقع المعيشي ليسهل اندماج الأفراد، من منطلق أنه مهما إستعار المنتمي لها من أسماء أو هويات يبقى إنسان له فطرته له قيمه وله مشاعره، قد يتحفظ في

إستعمالها في البداية لكن يطلق لها العنان من منطلق الطبع يغلب التطبع، وإدراك الفرد لأهمية الجماعة في حياته الواقعية، تنعكس حتما في هذا العالم الإفتراضي.

إن الحياة في الجماعات تهدف إلى: "دعم العلاقات الاجتماعية ذات الطابع التعاوني وتقوية الشعور بالانتماء والإحساس بالدفء العاطفي من خلال العلاقات الإجتماعية وكذلك تأكيد الاعتماد المتبادل بين الناس، ذلك أن أهم ما يميزهم في العصر الحديث هو اعتماد بعضهم على البعض"[xiii].

فالفرد يتطلع للانتماء الى الجماعات للأسباب التالية[xiv]:

1. ممارسة نشاط ترويحي لا يمكن له ممارسته دون الإشتراك في جماعة.
2. اكتساب تقدير الآخرين واحترامهم.
3. الشعور بالرضا للمساهمة في تخفيف المشكلات الاجتماعية
4. الحصول على فرص أفضل في إقامة صداقات.
5. إشباع حاجات نفسية واجتماعية لا يتوفر إشباعها خارج الجماعة.
6. الحصول على المساندة الاجتماعية .
7. الحصول على المكانة والمركز الاجتماعي.

فالإنتماء أو الإلتحاق بالجماعة يحقق واحدا أو أكثر من المتطلبات الاجتماعية، مقابل الحاجات النفسية الأساسية كالحاجة إلى الحماية والحب والأمن وإشباع الذات، وتحقيق حاجات أساسية تتطلبها الأوضاع الاجتماعية كممارسة الأنشطة الترويحية، واكتساب مهارات، حل المشكلات، تعديل السلوك ومعرفة الذات، الحصول على الدعم والتعاطف، والتعبير عن المشاعر والأفكار والتخلص من مشاعر القلق والإحباط. ويتم التواصل بينهم من خلال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية ومعرفة أخبارهم ... من خلال السياقات الافتراضية[xv]).

إن الجماعات الافتراضية باختلاف الأفراد المنتمين لها في ثقافاتهم وهويتهم ولغاتهم، تسهم في إكتساب الأفراد لخبرات ومهارات جديدة كون: "المهارات الشخصية والاجتماعية يتم إكتسابها من خلال التفاعل المستمر، فالتعبيرات اللفظية وغير اللفظية كالإبتسامة والإيماء وتعبيرات الوجه وحركات الجسم هي جزء من اللغة التي يكتسبها الفرد من خلال اتصاله بالآخرين"[xvi].

فالفرد في حياته يتفاعل مع جماعات عديدة ومتنوعة ، ويكتسب من خلالها بلورة لطبيعة شخصيته، كما أن هذه الجماعات تعتبر موجهات للفرد من خلال إكتساب الأفكار والمعاني المختلفة، وقد أشار **جورج ميد** في كتابه "الروح الذات والمجتمع" أن الفرد من خلال تفاعله مع الآخرين يشكلون له مرآة يرى فيها نفسه، من خلال ما تحمله تصرفات من يتفاعل معهم

وإستجاباتهم لسلوكه كالإحترام والتقدير، وبعد تفسيره لتصرفاتهم وإستجاباتهم فإنه يكون صورة لنفسه، وما يوضح أهمية الآخرين في تكوين الفرد لصورته"[xvii].

ومن خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وما تحمله تصرفاته واستجاباته لسلوكه الاحترام والتقدير، وبتفسيره لهذه الإستجابات والتصرفات فإنه يكون صورة لذاته، أي أن الآخرين مرآة يرى فيها نفسه. فالتعرف على صورة الذات "يحدث من خلال تصور الآخرين له ومن خلال تصوره لتصور الآخرين"[xviii].

إن الشاب العربي في تفاعله داخل الجماعات الافتراضية يتفاعل كفرد له هويته الفردية والجماعية، تشرب من ثقافة مجتمعه القيم والعادات والتقاليد، والضوابط والمعايير التي تحدد السلوك السليم، ويتعلم معنى المسؤولية الإجتماعية التي هي في الأصل تكوين ذاتي يقوم على نمو الضمير كرقيب داخلي، إلا أنها في نموها نتاج اجتماعي يتم تعلمه واكتسابه، فتتشكل عنده الشخصية المرجعية والجماعة المرجعية، التي حتما ستنعكس خلال تفاعله في هذه الفضاءات الجديدة المتعددة الهويات والثقافات وأنماط وأساليب الحياة اليومية.

لذا من واجباتنا كأفراد أن نتعامل مع ذاتنا ومع الآخرين ومع مجتمعنا بروح المسؤولية، إن الشعور بالمسؤولية الاجتماعية شعور نبيل نتجاوز معه الشكليات إلى قداسة الواجب. والإحساس بالمسؤولية يصقله الشعور بالواجب ويؤدي إلى الالتزام بالأمانة والموضوعية مع المعايير الإنسانية التي تقود بدورها إلى إيجابية التعايش والتواصل.

إن المسؤولية الاجتماعية تعبر عن تبعات الانتماء الاجتماعي وتكاليفه، التي يتحملها الفرد في ضوء مبادئ ومستوى أخلاقي يتبناه عن وعي وإهتمام ذاتي متحررا من القيود الداخلية والخارجية التي توجه سلوكه في المناشط الإجتماعية.

فهي "مسؤولية الفرد أمام ذاته عن الجماعة التي ينتمي إليها وهي تكوين ذاتي خاص نحو الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، وعبارة عن مسؤولية أمام ذاته، و تعني في الحقيقة مسؤولية عن الجماعة أمام صورة الجماعة المنعكسة في ذاته[xix].

ونستحضر هنا إحدى نتائج دراسة قامت بها الدكتورة **بشرى جميل الراوي** دور مواقع التواصل الإجتماعي في التغيير "إستخدم الشباب في بداية الأمر مواقع التواصل الاجتماعي للدردشة ولتفريغ الشحن العاطفية، ولكن يبدو أن موجة من النضج سارت، وأصبح الشباب يتبادلون وجهات النظر، من أجل المطالبة بتحسين إيقاع الحياة السياسية ، الاجتماعية والإقتصادية " [xx]

إن الشباب العربي بصورة عامة والجزائري بصورة خاصة، وفقا لما قاله **الدكتور علي أسعد وطفة** عند تناوله للثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي أنه أصبح يعيش في عالمين كلاهما غريب عنه. عالم الثقافة التقليدية التي لا تستطيع أن تضمن حاجاته وعالم

الثقافة الصناعية الحديثة التي تشعره في كل لحظة بالنقص لأنه يستهلك منتجاتها دون أن يسهم في بنائها.

لقد أصبحت الثقافة المعاصرة بفضل ثورة التكنولوجيا وتقنيات الاتصال الحديثة العابرة للقارات، والتي تحمل ما تسعى العولمة إلى تسويقه من قيم غربية لتصبح قيم كونية مبنية على أسس فكر الحداثة، والتي هي رؤية فلسفية للنظر إلى العالم وإلى الذات طبقا لمنظورات مختلفة عن المرجعيات التقليدية الموروثة، فهي لا تقر بالثبات وتتطلع إلى التجديد وتقوم على تقديس العقل وتحريره من كل أشكال القيود، فهي تمثل أولوية الذات وإنتصارها.

هذه الأفكار حتما ستؤثر على كل من ينتمي لهذه المجتمعات الإفتراضية خاصة الشباب الراغب في الإستقلالية والتحرر، إن صراع القيم الثقافية هو الوجه الآخر لضغط رمزي الذي تمارسه العولمة قصد تنميط سلوكيات وثقافات المجتمعات التقليدية التي تعمل على إعادة إنتاج الأفكار التقليدية الموروثة، ولا تطور نفسها على مستوى إنتاج المعرفة العلمية والعقلية، وفق ثقافة مجتمع يقوم بتحديث المعرفة وتجديدها بشكل دائم وتمثله المجتمعات الحديثة.

وفي هذا الصدد يرى **كارل مانهايم** أن التغير القيمي، يكون نتيجة لتفاعل مستمر بين الفرد ومحيطه، تبعا لعوامل ثقافية وإجتماعية، أي يحدث عندما يصبح المجتمع ديناميكيا ويظهر هذا الصراع عندما تكون جماعتين أو أكثر مختلفتين، بحدوث توافق بينهما أو سيطرة واحدة على الأخرى.

إن الشباب العربي في العالم الإفتراضي يجد نفسه في صراع بين ثقافتين ما يدخله في حالة إغتراب ثقافي، إجتماعي وسيكولوجي، تشكل بإختصار أزمة هوية وإنتماء، كون "الأفراد في العادة ينظمون معاني حياتهم وتجاربهم حول هوية محورية أساسية تتميز بالإستمرارية النسبية عبر الزمان والمكان"[xxi].

إن الشباب في هذين العالمين الواقعي والإفتراضي يعيش في صراع قيم "القيم القدرية وقيم الإرادة الإنسانية، بين القيم السلفية والقيم المستقبلية، بين قيم العقل وقيم القلب، بين قيم المضمون وقيم الشكل، بين قيم الإنغلاق وقيم الإنفتاح، بين القيم الجمعية والقيم الفردية، بين قيم الطاعة وقيم التمرد، بين القيم العمودية والقيم الأفقية، بين قيم العدالة وقيم الرحمة والتسامح"[xxii].

ونتيجة لذلك يجد نفسه أمام خيارين، إما الإبتعاد عن الهوية الثقافية الأصلية والخضوع لهيمنة ثقافة العولمة، وهذا ما لا نرغب فيه أو الانغلاق على الذات وهذا ما لا نستطيع الإلتزام به. لذا يجب أن نعمل على تهيئة شبابنا وتنشئتهم وفق مقومات هوية مجتمعهم والتي تشكلت وفق هذا المفهوم ، فالهوية بشكل عام، تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم.

نقف أمام هذا التساؤل، لماذا رفض الشباب مجتمعه الواقعي؟ هذا السؤال تناولته الباحثة **ليلى علي** في مقالة معروضة في مؤتمر الفيس بوك والشباب، "الإجابة على ذلك تحتوى على بعدين، الأول بعد وجودي، ويتمثل في أن الشباب بحكم طبيعته ونظرته المستقبلية غير قادر على التكيف الكامل مع المجتمع الواقعي في الحاضر، فهو دائما ينشد ما هو مثالي ويرفض ما هو واقعي وسلبي، أما البعد الثاني فيتمثل في أن واقع مجتمعاتنا متخم في العادة بالمشاكل التي تكون لها وطأتها الأكبر على الشباب. والقطيعة مع المجتمع الواقعي، تبدأ من عجزه عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب، كالحاجة إلى الوظيفة للمشاركة في سوق العمل، والحاجة إلى الدخل لإشباع الحاجات الأساسية والحصول على فرصة مسكن وتشكيل أسرة، حيث يدرك الشباب أن رفاقهم الأكبر سنا منهم، مازالوا يعانون من حالة الإحباط. ومن ثم تتبلور لديهم حالة من القطيعة السيكولوجية مبكراً مع المجتمع.

بالإضافة إلى ذلك يعانى الشباب من مشكلات الفراغ والتغييب والخضوع والتهميش وحرمانه من المشاركة في مختلف المجالات، الأمر الذي يجعل الهروب إلى المجتمع الإفتراضى فرض عين أو فرض حياة بالنسبة للشباب". إن الإجابة عن السؤال المطروح هو في الحقيقة وصف لعزوف الشباب عن العمل السياسي والجمعوي والمرتبط أكثر بالنظرة المستقبلية التي تغشوها الضبابية والخوف من المستقبل المجهول، ويرفع من حالة التوتر والقلق لدى الشباب، ويفرض عليه التفكير بسلبية وبنظرة يأس وإحباط لواقع لا أمل في تغييره، خاصة إذا كان ينظر هذا الشاب لما كان طفلا لأخيه الأكبر على أنه سيساهم في مساعدة الأب ويرفع من المستوى المعيشي للعائلة، نظرة كلها أمل خاصة لما ترتبط بحكايات ونقاشات يسمعها بين الأهل من المواعيد السياسية لتحسين الواقع، لكن لم يتغير شيء بل ربما تأزمت الوضعية أكثر وحال بلادنا والأزمات التي تعيشها في كل المجالات دليل على ذلك.

إن قطيعة الشباب العربي مع المجتمع الواقعي تبدأ من عجزه في إشباع حاجاته الأساسية، ومعاناته من عدم وجود مساحات لإبراز القدرات وتنمية المهارات وإنعدام فضاءات للترفيه، وتغلب نزعته نحو الإغتراب، وبحكم طبيعته الديناميكية وحب المغامرة ونظرته الطموحة للمستقبل، والتي تقابلها الوعود الزائفة وإستراتيجيات التنمية التي لم تؤت أكلها يفقد الأمل ويصاب بالإحباط، هذه الظروف تجعله غير قادر على التكيف مع الواقع المعاش، لكن في بعض الأحيان هو الذي يرفض التكيف فينشد ما هو مثالي ويرفض ما هو واقعي وسلبي، ويدخل في أحلام اليقظة ويعيش في الخيال ويتمنى أن تبتسم له الحياة يوما.

ومع ما وفرته الثورة التكنولوجية من تقنيات وشبكة العنكبوتية، والتي خلقت فضاءات توسع من خياله وبإستطاعته تحقيق أحلامه فيها. فالإنتقال من المجتمع الواقعي إلى الإفتراضي، هو رفض للواقع بكل خصائصه وتفاعلاته، والإقتراب من المجتمع الإفتراضي والمشاركة في نسج تفاعلاته.

لقد إنطلقنا في تحليلنا من تأثير ظروف الحياة اليومية وإنعكاستها على الشباب للدخول في العالم الإفتراضي، لكن أكيد سيكون تأثيرا للواقع الإفتراضي على الشباب الذي ينعكس في الواقع الإجتماعي سواء كانت هذه التأثيرات سلبية أو إيجابية.

وفي صدد التحدث عن التأثيرات السلبية نذكر هذه النظرة الناقدة المبنية على التأثيرات السلبية للعالم الإفتراضي "في واقع الأمر، يعيش الشباب العربي أزمة ما يسمى بالتغيير، بحيث يواجه الشباب العربي العديد من الظواهر السلبية التي تتعلق بالمحيط الإجتماعي الذي تسوده جملة من القيم الرديئة، والتناقض الثقافي والفوضى الإقتصادية، والفقر، والتسلط، والإنحراف بكل صوره وأشكاله وأنواعه، فيعصر تتزاحم فيه وسائل الإعلام وشبكات الأنترنت على بث أكبر قدر ممكن من المعلومات المختلفة، وفي ظل سياسة الانفتاح وفيعصر الإعلام والعولمة يمكن مشاهدة ومتابعة ما يجري بسهولة، وفي ظل محاولات أصحاب القوة والنفوذ نشر أفكارهم وتسويق توجهاتهم، أصبح الشباب أكثر عرضة للتيارات المتلاطمة والأفكار المتناقضة والمعلومات المتجددة التي أصابت قدرتهم على تحديد خياراتهم وأولويات مجتمعاتهم وإحتياجاتهم. مما يجعلهم يستمدون من هذه السمات المفتوحة، سلوكهم، نمط تفكيرهم، وأسلوب حياتهم بحيث

يصبح التقليد والمحاكاة لمظاهر الحياة الغربية نمطا إجتماعيا سائدا في حياتهم اليومية، وسلوكا متحضرا في عملية التثقيف"[xxiii].

لكن عندما يتحول الشباب إلى المجتمع الواقعي، إنطلاقا من الواقع الإفتراضي يسعى إلى نقد المجتمع الواقعي، حتى يمكن تطويره بما يساعد على إشباع حاجاته. ولإبراز الإيجابيات التي يمكن أن تخلقها المجتمعات الإفتراضية لدى شبابنا نحاول الربط بين الإغتراب الذي يعتبره الكثير من الباحثين سببا نحو هروب (المحبطين) أو هجرة (الطامحين) الشباب إلى العوالم الإفتراضية، ونمو المسؤولية الإجتماعية المرتبطة بمفهوم المواطنة في المجتمعات الإفتراضية وإنعكاسها على نشاطات الشباب الواقعية أو العودة للإندماج في الواقع المعيشي. والإغتراب هو "شعور بعزلة الفرد وإحساس بالوحدة والضياع وعدم الإنتماء وفقدان الثقة والشعور بالقلق والعدوانية ورفض للقيم والمعايير الإجتماعية وإغتراب عن الحياة الأسرية ومعاناة وضغوط نفسية، كما يشير إلى الحالات التي تتعرض فيها وحدة الشخصية إلى الإنشطار والضعف والإنهيار، وتتأثر العمليات الثقافية والإجتماعية التي تتم داخل المجتمع والتي عبر عنها **طريف خولي** يمنى بأنه إبتعاد المرء عن حضارته الأولى والتصاقه بحضارة وثقافة جديدة"[xxiv].

والاغتراب عدة أنواع نذكر منها[xxv]: الإغتراب النفسي والإجتماعي وهو شعور الفرد بالإنفصال عن الكيان الإجتماعي الذي ينتمى إليه وهو إنعكاس لوضع الفرد في المجتمع نتيجة خروجه عن المعتقدات والتقاليد السائدة.

الإغتراب الإقتصادي ويشير إلى أن الإنسان لا كيان له وأنه غريب في عمله. الإغتراب السياسي ويفسر بأن الإنسان يكون مسلوب القوة والعمل والإرادة ويعيش في سلبية وإعتمادية. الإغتراب الذهني وهو العجز التام عن التعامل مع الواقع مما يستدعي إستبداله بواقع آخر من وضع تخيلات الفرد. والإغتراب الروحي هو إغتراب الإنسان عن الزمن الحالي الذي يعيش فيه ويتجه إلى تمجيد الماضي. فمثلا ضعف الإنتماء وشعور الفرد بأنه لا ينتسب لجماعته الأساسية ولا يرض عنها ولا يشعر بالفخر بها وهو رافض للقيم السائدة، ما يدفعه إلى عدم الإكتراث بالوطن والإنتماء له والذي يصبح مظهرا سلوكيا دالا على الإغتراب. فالإغتراب شعور يترجم إلى سلوكات أو ما يعرف بمؤشرات الإغتراب، وهذا ما يتناسب مع الإختلاف الموجود في طبيعة التفاعل في المجتمع الواقعي والمجتمع الإفتراضي فيصبح عامل جذاب، فتفاعلات المجتمع

الواقعي تؤكد على التواجد الجسدي، واعتماده على إشارات وإيماءات، بينما تفاعلات المجتمع الإفتراضي ذات طبيعة عقلية بالأساس، إنه تفاعل بالصور والرموز ومقاطع الفيديو، رغم وجود الكاميرا والتدفق العالي للأنترنت وتقنية ثلاثية الأبعاد.

ونجد في الواقع الافتراضي ثلاث أصناف للشخصيات المغتربة، الصنف الأول المنعزلون يعترفون بأن المواقف الإجتماعية أصعب من مقدرتهم، وأنهم لا يملكون قدرة حل المشاكل والتعامل مع الصراعات والأزمات. فيعزفون عن القيام بالأدوار الإجتماعية ويفضلون الإبتعاد والإنسحاب ويتجنبون المواجهة. وبدخولهم في إحتكاكات وتفاعلات إجتماعية قد يعيدون إكتشاف ذواتهم وإمكانياتهم، فيكتسبون الثقة في أنفسهم من جديد، ويعودون لواقعهم المعيشي ويمكنهم الإنخراط في نشاطات الواقع خاصة النشاط الجمعوي.

والصنف الثاني المطيعون ويعرفون بالشخصية الإغترابية الإنغلاقية التي تتمركز حول ذاته وخبراته وأهدافه وإهتماماته ومصالحه هي التي توجه سلوكاته، فيميلون إلى الإمتثال لما ترضاه الجماعة بغض النظر عن قناعتهم الشخصية، فهم مسايرون مجاملون يبحثون عن المكانة غير مقتنعون بصحة الواقع المعيشي. فهم بذلك أكثر من يستطيع تقمص الهويات المختلفة والمتناقضة في العالم الإفتراضي وأكثر عرضة لتأثيراته السلبية، لأن المهم لديهم المصلحة والفائدة الشخصية، ويساعدهم ذلك في الإنخراط ، فكل عمل ونشاط أو هيئة تحقق لهم ذلك، وخاصة في المجال السياسي وبالخصوص اللذين لديهم رغبة في التوجه نحو المسؤوليات فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

أما الصنف الثالث فهم الفاعلون ويتصف أصحابها بمقاومة السلطة وتجاهل القواعد أو حتى القوانين الإجتماعية، وهم يحدثون إضطرابات للآخرين برفضهم أواصر التفاعل معهم بصفة عامة رافضون للجماعة ولأهدافها وإجراءاتها وهم يواجهون المواقف الإغترابية بقصد العمل على تغير المواقع إما بالمعارضة أو الإحتجاج أو بالتمرد.

وهؤلاء يجدون في العالم الإفتراضي فرصة لتحقيق الذات والإستقلالية والتحرر ومناقشة الأفكار والمشاكل وطرح الحلول فيكتسبون خبرات من خلال الإطلاع على تجارب الآخرين،

وينمون مهاراتهم وقدراتهم، ويسعون في نقلها من العالم الإفتراضي، يسعون للتغير، ولا يكتفون بالعضوية العادية في الجمعيات والأحزاب بل يتطلعون إلى المناصب القيادية.

فالعالم الإفتراضي يفجر طاقاتهم وإبداعاتهم، لكن يبقى الإشكال القائم عندهم هل يرغبون في التغير السلمي والمشاركة في واقع متأزم وفيه الكثير من الصراعات، أم رفض كل ما هو قائم والعمل على تغييره فيكون إما الإتيان بالأفكار الثورية الجديدة، أو الإنخراط في أعمال العنف خاصة من يعانون من الإغتراب الروحي.

إن التفاعل الإجتماعي وبناء العلاقات، والإحتكاك بالثقافات الأخرى والتجارب والخبرات المكتسبة في المجتمعات الإفتراضية تمتد إلى الواقع الإجتماعي، كون مفاهيم الذات والهوية الفردية والهوية الجماعية ترتبط بما يعيشه الفرد من تجربة وخبرة ومدى تأثيره في الشخصية وطبيعتها وأبعادها، فالخبرة الإيجابية والتي تنسجم مع الذات والمعايير الإجتماعية تؤدي إلى الإحساس بالإطمئنان والسعادة، بينما الخبرة السالبة والتي تنتج عن تعارض قوانين الضبط المعيارية مع مفهوم الذات تشكل قيم سالبة. كما ترتبط الشعور بالإستقلالية، كون الفرد لا يستطيع أن يؤكد هويته الذاتية إلا إذا إستطاع أن يحس بالإستقلالية والحرية، وترتبط كذلك بالقيمة التي يأخذها الفرد بالقياس إلى الآخرين، وما يترتب عليها من مسؤولية إجتماعية، والتي بالرغم من أنها تكوين ذاتي يقوم على نمو الضمير كرقيب داخلي إلا أنها في نموها نتاج إجتماعي يتم تعلمه وإكتسابه، فهي بذلك "مسؤولية الفرد أمام ذاته عن الجماعة التي ينتمي إليها وهي تكوين ذاتي خاص نحو الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، وعبارة مسؤول أمام ذاته تعني في الحقيقة، مسؤول عن الجماعة أمام صورة الجماعة المنعكسة في ذاته"[xxvi].

إن إدراك معنى وحقيقة المسؤولية الاجتماعية، عامل مهم في تكيف واندماج الفرد في الجماعة والمجتمع والوطن، كونها تتكون من ثلاث عناصر مترابطة ينمي كل منها الآخر ويدعمه ويقويه ويتكامل معه، وهي الإهتمام والفهم، والمشاركة، والإهتمام هو حرص الفرد على الجماعة، سلامتها، تماسكها، إستمرارها وعلى توحده معها. وله عدة مستويات نذكر منها الإنفعال مع الجماعة حيث يساير الفرد وبصورة آلية حالتها الإنفعالية ويعتبر نفسه في قلب المسؤولية فيتعاون ويتفاعل بحماس تلقائي مع الجماعة، والانفعال مع الجماعة يحدث بصورة

إرادية حيث يأتي تضامنه مع الجماعة بناء على قناعة ذاتية منه، فيجعل أهدافها محور إهتماماته.

وكذا التوحد مع الجماعة هو شعور الفرد بالوحدة المصيرية معها، ويسعى من أجل مصلحتها الوطنية، فهي من أوضح نماذج التوحد مع المجتمع. كما نجد الإنتماء المتعقل بحيث تملأ الجماعة عقل الفرد ووجدانه وتصبح موضوع إهتمامه وتأمله، ويلتقي معها في تقارب فكري، ويغامر في سبيل الدفاع عن طموحاتها وأهدافها، وفي ذلك أحد أبعاد القوة لضمان التماسك والتكافل الجماعي.

أما الفهم هو مدى قدرة إدراك الفرد لأغراض وأهداف الجماعة ونظمها وثقافتها ومدى إدراكه لأفعاله وسلوكاته وتصرفاته داخل الجماعة والمجتمع وخارجهما. ويتضمن فهم الفرد للجماعة والقوى النفسية المؤثرة في أعضائها، وفهمها لدوافع السلوك الذي تنتهجه خدمة لأهدافها، إستيعابه للأسباب التي جعلته يتبنى مواقفها، ويشترط الإلتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير والإهتمامات الإجتماعية ومقاومة الضغوط كما يشمل التقارب الفكري والمساهمة في المناقشة المتعقلة وتحديد النقاط التي يجب إعتمادها للوصول إلى الغاية التي تخدم المصلحة العامة. والفهم يعني إدراك الفرد للظروف المحيطة بالجماعة، ماضيها وحاضرها وقيمها وإتجاهاتها، والأدوار المختلفة فيها. كما يقتضي تقدير المصلحة العامة والدفاع عن الوطن والعمل على رفعته وإزدهاره.

ونجد المشاركة مسؤولية وهي الأرضية الأساسية لحياة إجتماعية، تظهر المشاركة قيمة الفرد وقدرته على القيام بواجباته وتحمل مسؤولياته ، بضمير حي وروحية صافية وإرادة ثابتة، والمقصود هنا مشاركة الفرد في أعمال تساعد في تحقيق الهدف الاجتماعي حين يكون مؤهلا إجتماعيا لذلك، ولها ثلاثة جوانب: التقبل أي تقبل الفرد للدور أو الأدوار الإجتماعية التي يقوم بها والملائمة له في إطار ممارسة سليمة، التنفيذ حيث ينفذ الفرد العمل وينجزه بإهتمام وحرص ليحصل على النتيجة التي ترضيه وترضي الآخرين وتخدم الهدف، والتقييم حيث يقيم كل فرد عمله وفقا لمعايير المصلحة العامة والأخلاق[xxvii].

وهذه العناصر الثلاث متكاملة ومرتبطة حيث "أن الإهتمام يحرك الفرد إلى الفهم وكلما زاد فهم الفرد لأغراض الجماعة زاد إهتمامه، وبالتالي انتماؤه للجماعة، ومن ثم سعيه للمشاركة مع الآخرين في عمل يسهم في إشباع حاجاتها وحل مشكلاته، والعمل على إستمراره كما أن المشاركة تزيد من إنتماء وإهتمام وفهم الفرد للجماعة والوسط المحيط به "[xxviii].

إن المعارف والخبرات التي يكتسبها الشباب من خلال إحتكاكهم بالجماعات الإفتراضية تنمي مهاراته التواصلية وقدراته الإبداعية، وتغيير نظرته للمجتمع وإحساسه بدوره وإنتمائه إليه. ما يشعره بضرورة الانخراط الإيجابي في العمل الجمعوي والسياسي داخل محيطه ووعيه بالتحولات اليومية التي تقع في بيئته، يجعلان منه أكثر قدرة على فهم وتحليل المشاكل والأوضاع المرتبطة ببيئته، وأكثر إستعدادا لتحمل المسؤولية والمشاركة الفعالة في حل هذه المشاكل أو محاورة الهيئات السياسية في شأنها

الخاتمة:

تعتبر مرحلة الشباب من المراحل الحساسة والمهمة التي يمر بها الفرد، حيث تنضج معالمه الشخصية بنضوجه الجسماني والعقلي، والإجتماعي من خلال ما يكتسبه من مهارات ومعارف تدفعه للتطلع نحو المستقبل، والتفكير في خيارات الحياة المستقبلية.

فالشباب العربي طاقة للإستمرارية، التغيير، التجديد والإبداع، فهو يملك القدرة على التكيف وتقبل قيم ومعايير مجتمعه، ويملك في نفس الوقت قدرة الإستجابة للمتغيرات من حوله وسرعة في إستيعاب وتقبل الجديد. ومع بروز معالم إستقلالية الشخصية، والنزوع نحو تأكيد الذات، يتصف بالنقد الدائم لوقعه الذي يجب أن يتطابق مع تفكيره المثالي لأنه ينطلق من المثالية المنزهة عن المصالح التي تعكس قناعة الشباب ورغبته في تغيير الواقع الذي وجد فيه وإن لم يشارك في صنعه. وبذلك تكون جماعة الشباب بثقافتها وسط لحل مشكلات الممارسات اليومية، وبيئة للأنشطة التي يتبناها الشباب في فهم تجاربهم المشتركة والتعامل معها.

إن المجتمعات الافتراضية، ما هي إلا نظام إجتماعي تكنولوجي رمزي تدعم بفضل الشبكة العنكبوتية، يهاجر إليه الشباب العربي كبديل للحياة الاجتماعية الصعبة أو كفضاء للراحة والترفيه عن روتين الحياة اليومية، فيصبح تدريجيا جزءا هاما من حياتهم الاجتماعية، وواقعا

ملموسا في ممارساتهم اليومية، وبيئة للتفاعلات الإجتماعية، تساهم في التأثير على ثقافتهم وتعاملهم مع الآخرين.

فالثورة الرقمية تدفع نحو ظهور مجموعات إفتراضية تجمعها علاقات حميمية، وطرق جديدة للتواصل والتفاعل الإجتماعي بين الجيل الشاب، تتحدى البنية الإجتماعية التقليدية.هذه المجموعات تشكل بيئة افتراضية تحاكي الحياة الحقيقية، فخلقت مناخ للتفاعل والتعبير عن الذات. وتسمح للشباب من أماكن متفرقة في أنحاء العالم أن يتواصلوا فيما بينهم، ويتبادلوا المعارف والمعلومات، ويكونوا علاقات، ويمارسون أنشطة مختلفة.

ومن الأسباب الرئيسية لولوج الشباب العربي المجموعات الإفتراضة تملك مشاعر الإحباط وضعف الإرادة وخيبة الأمل من تحقيق ما تطلبه منهم جماعة الإنتماء، ويفقدون الثقة في النفس، فينعزلون وينقص شعورهم بالإنتماء، فيتوجهون للعالم الإفتراضي، فيدركون الفرق والهوة خاصة في البعد المادي بين مجتمعهم والمجتمعات الأخرى، بالأخص المجتمعات الغربية التي ميزاتها العصرنة والرفاهية وما يتوافق معها من أساليب الحياة، فيتعمق شعورهم بالإغتراب عن الذات إلى الإغتراب عن جماعة الإنتماء.

لذا يجب العمل على تحقيق التكامل والتنسيق بين مؤسسات التنشئة الإجتماعية المختلفة في كل ما يقدم للشباب العربي والأطفال على حد سواء، من برامج وما ينشأ لخدمتهم ورعايتهم من مؤسسات، في كافة المجالات التعليمية، الاجتماعية، الثقافية، الترفيهية وحتى السياسية، من أجل توفير فضاءات ومساحات يعبر من خلاله الشباب عن قدراته ومهاراته ويكتشف ذاته ويثبتها ويحصل على ما يأمل من تقدير وقبول ورضا إجتماعي.

كما يجب العمل من أجل تقليص تلك الهوة التي يشعر بها الشاب الجزائري بينه وبين الجيل أو الأجيال التي تسبقه. تلك الهوة التي تتسع كلما تعاظمت الإختلافات في طرق التفكير والسلوك، خاصة مع الثورة الرقمية التي إجتاحت العالم، ما يؤدي حتما إلى تعامل كل طرف بنظرة مسبقة مع الطرف الآخر. وبالخصوص إذا ما اعتبرنا الشباب طاقة إنسانية تتميز بدرجة عالية من الديناميكية والحيوية والمرونة، لديه الميل الطبيعي للانتماء لمجموعة إجتماعية يأخذ منها ويعطيها فهو إجتماعي بطبعه.

قائمة الهوامش

[i] خلدون النقيب: **المشكل التربوي والثورة الصامتة**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص 68.

[ii] علي سعيد اسماعيل، الأصول الفلسفية، جامعة عين شمس، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 87 .

[iii] فتحي الضبع: **المعاقون بصريا رؤية جديدة للحياة**، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2007، ص33.

[iv] هاني الجزار: **الشباب وأزمة الهوية**، ط1، دار عقبة للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2009، ص7.

[v] فادية الجولاني: **التغيير الإجتماعي**، مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، ط1، دار الإصلاح، السعودية، 1984، ص34.

[vi] **مجاهد عبد المنعم: في الفلسفة المعاصرة، ط1، سعد الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص14.**

[vii] سعد علي وطفة: "**المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية، بحث في إشكالية القمع التربوي**"، المجلد 27، ع2، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص247.

[viii] **المرجع نفسه**، ص 248.

[ix] Mattelard **Armand** : *L'invention de la communication*, Ed :La Découverte, Paris,1994, p17.

[x] أولجا جوديس بيلي وآخرون: **فهم الإعلام البديل**، تر: علا أحمد إصلاح، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2009، ص31.

[xi] سامية جابر: **علم الإجتماع العام**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص 235.

[xii] عامر فتحي حسين، وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة الى الفايسبوك، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 187

[xiii]سلمى جمعة: **المدخل إلى طريقة العمل مع الجماعات**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص144.

[xiv] سيد فهمي محمد: **طرق العمل مع الجماعات**،ج1 المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص 146.

[xv]بخوش مرزوقي، الويب2، الشبكات الاجتماعية واعلام جديد، جامعة باجي، الجزائر، 2009، ص 47 .

[xvi]سيد فهمي محمد: **طريقة العمل مع الجماعات**، مرجع سابق، ص 128.

[xvii]خيري الجميلي: **السلوك النفسي والتكيف الاجتماعي**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 56.

[xviii] فهمي العزوي، وآخرون: **المدخل إلى علم الإجتماع**، دار الشرق للنشر و التوزيع، عمان، 1992، ص 195

[xix] طاهر الغالبي: **المسؤولية الإجتماعية وأخلاقيات الأعمال**، دار وائل للنشر، الأردن، 2005، ص 50.

[xx]بشرى جميل الراوي: **دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير –مدخل نظري –** ، ع18، مجلة الباحث الاعلامي، جامعة بغداد كلية الإعلام ، العراق ، 2012، ص 109

[xxi]أنتوني غدنز: **علم الإجتماع**، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005، ص 90.

[xxii] انتوني غدنز، **المرجع السابق** ، ص90.

[xxiii] باسل البياتي: **فضائيات الثقافة الرائدة وسلطة الصورة**، مجلة المستقبل العربي، ع 267، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 116.

[xxiv] خولى يمنى: **العلم والإغتراب والحرية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1987، ص83

[xxv] صلاح الدين الجماعي، **الإغتراب النفسي والإجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والإجتماعي**، مكتبة مدبولى، مصر، 2008، ص39

[xxvi] طاهر الغالب، **المرجع السابق**، ص 50.

[xxvii] حمد حسام الدين: **المسؤولية الإجتماعية للصحافة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص ص 48-49.

[xxviii] جابر عوض سيد حسن: **العمل مع الجماعات**، المكتب الجامعي الحديث، مصر،2001، ص52.

قائمة المراجع:

1. خلدون النقيب: **المشكل التربوي والثورة الصامتة**، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص 68.
2. علي سعيد اسماعيل، الأصول الفلسفية، جامعة عين شمس، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 87 .

3. فتحي الضبع: المعاقون بصريا رؤية جديدة للحياة، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2007، ص33.
4. هاني الجزار: الشباب وأزمة الهوية، ط1، دار عقبة للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2009، ص7.
5. فادية الجولاني: التغيير الإجتماعي، مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، ط1، دار الإصلاح، السعودية، 1984، ص34.
6. مجاهد عبد المنعم: **في الفلسفة المعاصرة، ط1**، سعد الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1984، ص14.
7. سعد علي وطفة: "المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية، بحث في إشكالية القمع التربوي"، المجلد 27، ع2، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص247.
8. Mattelard Armand : *L'invention de la communication*, Ed :La Découverte, Paris,1994, p17.
9. xxviiiأولجا جوديس بيلي وآخرون: فهم الإعلام البديل، تر: علا أحمد إصلاح، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2009، ص31.
10. سامية جابر: علم الإجتماع العام، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص 235.
11. xxviiiعامر فتحي حسين، وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة الى الفايسبوك، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 187
12. xxviiiسلمى جمعة: المدخل إلى طريقة العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص144.
13. xxviii سيد فهمي محمد: طرق العمل مع الجماعات،ج1 المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2002، ص 146.
14. xxviiiبخوش مرزوقي، الويب2، الشبكات الاجتماعية واعلام جديد، جامعة باجي، الجزائر، 2009، ص 47 .
15. xxviiiسيد فهمي محمد: طريقة العمل مع الجماعات، مرجع سابق، ص 128.
16. xxviiiخيري الجميلي: السلوك النفسي والتكيف الاجتماعي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 56.
17. xxviii فهمي العزوي، وآخرون: المدخل إلى علم الإجتماع، دار الشرق للنشر و التوزيع، عمان، 1992، ص 195

18. xxviii طـاهر الغـالبي: المسـؤولية الإجتماعيـة وأخلاقيـات الأعمـال، دار وائـل للنشـر، الأردن، 2005، ص 50.
19. xxviiiبشرى جميل الراوي: دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير –مدخل نظري – ، ع18، مجلة الباحث الاعلامي، جامعة بغداد كلية الإعلام ، العراق ، 2012، ص 109
20. xxviiiأنتوني غدنز: علم الإجتماع، ترجمة فايز الصباغ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005، ص 90.
21. xxviii انتوني غدنز، المرجع السابق ، ص90.
22. xxviii باسل البياتي: فضائيات الثقافة الرائدة وسلطة الصورة، مجلة المستقبل العربي، ع 267، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 116.
23. خولى يمنى: العلم والإغتراب والحرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1987، ص83
24. صلاح الدين الجماعي، الإغتراب النفسي والإجتماعي وعلاقته بالتوافق النفسي والإجتماعي، مكتبة مدبولى، مصر، 2008، ص39
25. حمد حسام الدين: المسؤولية الإجتماعية للصحافة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص ص 48–49.
26. جابر عوض سيد حسن: العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، مصر،2001، ص52.